الكاتب الإسلامى

عطية عبد الرحيم عطية

يقـــدم

قصة قصيرة

مقيل عثرات الكرام عند العسرة

دار الصفا للطباعة والنشر
٤ ش الصيرفى - المنيل
ت : ٩٨٥.٤٣

دار فقيه للنشر والتوزيع
جدة ص.ب ١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الله تعالى هو البر الرحيم الكريم الذى يحب كل كريم .

فى العصور الإسلامية الزاهرة كان الأمراء والوجهاء وأصحاب الرأى والمشورة يعقدون المجالس لمدارسة أحوال المسلمين ويتدارسون سير السابقين لينهجوا نهجهم ويقتفوا أثرهم فيهتدوا بهديهم ويسيروا على طريقهم .

وكان كل من يدلو بدلوه ليغترف من بحار الخير والعلم والحب حفاظا على دين الله عز وجل الذى أكرم الله تعالى به عباده المؤمنين وهو الذى أوحى به رب العالمين . إلى خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفى مجلس من تلك المجالس الطيبة الطاهرة كان عمار وهو من أثرياء القوم ووجهائهم وكان حريصا على ألا تفوته جلسة من هذه الجلسات .

كان عمار كريما سخيا إلى حد الإسراف عوده ربه عادة وعود عمار عباد الله عادة وكان يخشى أن يترك ما تعوده مع الناس فيترك الله تعالى عادته معه .

الله تعالى يمتحن عباده الصالحين ويختبرهم .

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ﴾[1]

كان الابتلاء والاختبار من الله تعالى لعبده الكريم الجواد عمار ، فمن كثرة عطائه ألمت به الفاقة ولحق به الفقر من أقرب الطرق حتى أصبح لا يملك قوت يومه . وكان يقيم فى دار بعيدة عن العمران .

لجأ إليها وأغلق بابها عليه طول النهار فلا يخرج إلا فى جنح الظلام ليحتطب ويكسب قوت يومه بعمل يده . اعتز بعزة الله فلم يعرّض كرامته كمسلم لذل أو مسألة .

افتقده الأمير وإخوانه وجلساؤه الذين كانوا يحبونه حبا شديدا لكرمه وجوده ودماثة خلقه وتواضعه وكانوا لا يصبرون على فراقه لحظات فكيف وقد طالت مدة انقطاعه وهم لا يعلمون شيئا من أمره.

كان من الجلساء واليا على إحدى الولايات الإسلامية المجاورة اشتد شوقه لعمار فأخذ على نفسه عهدا لم يعلم

---

(١) العنكبوت [٢] .

به أحد أن يبحث عن الخليل الوفى المؤمن وذلك فى الإسلام من أوجب الواجبات عليه.

ظل الوالى مصطفى يبحث ويبحث ويسأل حتى هداه الله إلى أمر عمار وما هو فيه من اختبار وابتلاء .

إن مصطفى حقا أمير إلا أنه لا يملك مالا ولا عقارا كباقى الولاة ، ولكن هداه تفكيره أن يصنع المستحيل لإنقاذ عمار دون أن يجرح كرامته فماذا يصنع ؟

هو أمين على بيت مال المسلمين فماذا يمنع من أخذ المال الذى يكفى عمارا وينقله إلى حياة العز والكرامة التى كان يتمتع بها ويقوم مصطفى بسداده على أقساط لبيت المال ؟

ففى ذات ليلة ساكنة هادئه مظلمة من ليالى آخر الشهر العربى تسلل مصطفى من حجرة نومه من بين أهله ودخل حجرته فارتدى ملابسه وتوجه إلى خزانة بيت المال وقام بفتحها وأخرج منها كيسا من النقود ، وذهب إلى حظيرة بغلته فركبها وعندئذ شعرت به زوجته وكانت تراقبه فى فعله . وانطلق مصطفى بكل سرعة ببغلته حتى وصل إلى دار عمار ودق الباب .

عمار : من الطارق ؟

مصطفى : مقيل عثرات الكرام عند العسرة لو سمحت افتح

عمار : إن ذلك ليس اسما وإنما هو صفة

مصطفى : هو اسمى ولا أعرف إلا به فقد سمتنى به أمى أرجوك افتح - ويتكرر طرق الباب من مصطفى حتى لا يجد عمار أمامه بدا من فتح الباب .

عمار - يفتح الباب والدنيا ظلام حالك لم يتبين سوى بغلة يركبها رجل ملثم من الصعوبة بمكان أن يرى وجهه أو يعرفه يعطيه كيسا من النقود وينطلق بمنتهى السرعة إلى حال سبيله .

كانت حليمه زوجة مصطفى على أحر من الجمر لمعرفة أخبار زوجها وقد ملأ قلبها الشك من فعله الذى لا تعلم عنه شيئا .

ولما عاد مصطفى وحليمة فى انتظاره نظرت أمامها وقالت : بكل عصبية :

مصطفى أين كنت؟ أصدقنى القول لقد رأيت كل شىء بعينى رأسى ولم يخبرنى أحد .

فى بداية الأمر أنكر مصطفى إذ كان يبغى أن يكون ما صنع سرا لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فأخذ يختلق لها بعض الأعذار التى تعفيه من إذاعة السر .

وكان كلما زاد اعتذاره يزيد الشك عند حليمة فأكدت لها نفسها أنه لابد أن هناك امرأة أخرى يخفى سرها .

فقالت لمصطفى : من هى تلك التى تفضلها على ، وتتسلل وتذهب إليها فى جنح الظلام سرا .
أهى على جانب من الجمال أكثر منى ؟ أهى ذات حسب ونسب وخلق؟

والله لو كانت كذلك حقا ما قبلت رجلا خائنا مثلك فأنت لا تستحق الاحترام - ولابد من الانفصال فإنه لا طاقة لى فى معاشرتك بعد أن رأيت منك ما رأيت .

فكر مصطفى طويلا فيما سمع من زوجته التى يحبها .
ثم قال لها : اتكتمين سرا ياحليمة كنت أود أن يظل بينى وبين ربى لا أظهر عليه أحدا وكنت أرجو منه أن يسترنى .
فتزداد حليمة غيظا وتزمجر وتقول دون وعى:

أى سر تخفيه عنى وأنا شريكة عمرك؟ عاشرتك فى السراء والضراء ، وكنت إلى جوارك حين البأس .

ألا تذكر أنك كنت فقيرا ولولا أن الله وهبنى ما وهبنى لما كنت فيما أنت فيه من رغد العيش والصولجان والسلطان ؟

فإذا كنت حقا شهما كما أوهمتنى فى سابق حياتنا فلم تخفى عنى سرا ؟

أجربت منى يوما خيانة أو إذاعة لسر مهما كان تافها؟

قال مصطفى : يا حليمة سأقص عليك ما جرى وأرجو الله العفو والمغفرة وقص عليها خبر عمار وما جرى له من الفقر والفاقة . فصنعت ما رأيتى وأخذت من بيت المال كيسا به خمسة آلاف دينار وأعطيته إياه فى جنح الظلام حتى لا يفطن لى ورجعت :

حليمة وهى فى دهشة مما تسمع وهى تعلم أن مصطفى ليس لديه ما يكفى لسد هذا المال للمسلمين .

فقالت : ألا تخشى الفقر والفضيحة إذا تم تفتيش على بيت المال أفلا يعتبر ما صنعت سرقة واختلاسا

وخيانة لبيت مال المسلمين؟

أما فكرت فى حصول الشر الذى لا نحمد عقباه ؟

قال مصطفى : يا حليمة إن الله وصف نفسه بالعدل والستر فهو العادل الستار الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

يا حليمة : إن الله يكافىء الكريم بكرمه ويجازى البخيل على بخله ولا يظلم الله تعالى أحدا .

وهو سبحانه القائل : ﴿ **فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾(١)

ألا تذكرين يا حليمة ما جرى لأختنا سمية مع زوجها الغنى شديد البخل؟ .

قالت حليمة : لا أذكر شيئا .

قال مصطفى : سأقص عليك خبرها حتى تتعظى وتتأكدى أن الله تعالى يعطى الجزاء من جنس العمل وأنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة .

---

(١) محمد [٣٨] .

كانت سمية متزوجة بعبد الستار الرجل الغنى وكان عبد الستار على جانب كبير من الثراء وكثرة المال والجاه والسلطان والخدم والحشم .

طرق بابه يوما فقير وكان يتناول الغذاء ومعه سمية فلما رأى السائل الفقير نهره بشدة وأساء عليه الأدب وطرده شر طرده دون ذنب جناه سوى أنه فقير محتاج .

لم يمر الوقت الطويل حتى أخذ الله تعالى من عبد الستار ماله وجميع ما يملك وأذاقه الله تعالى لباس الجـوع والفقر والذل والحرمان.

لم تطق سمية الحياة معه فكان الفراق بينهما .

رزق الله تعالى سمية رجلا من خيرة القوم متعه الله بالصحة والعافية والمال والجاه والسلطان والكرم والجود فكان زوجا ونعم الزوج إسمه سعيد وهو حقا كان بها سعيد .

وفى ذات يوم كان سعيد وسمية يتناولان طعام الغذاء وكانت أمامها دجاجة مشوية فدق الباب .

أمر سعيد سمية أن تفتح الباب ليعرف من الطارق ، فإذا به سائل يطلب إحساناً .

أمرها سعيد أن تعطيه الدجاجة كاملة دون أن تنقص منها شيئا .

أطاعت سمية أمر سعيد وأعطت الدجاجة كاملة للسائل ورجعت وهى تبكى بكاءا مرا

فسألها سعيد : ما يبكيك؟ أحزنا على الدجاجة ؟

فقالت : لا والله ما لهذا بكيت وإنما كان بكائى لأن هذا السائل ما هو إلا زوجى السابق الغنى البخيل ، وكان قد حضرنا سائل يوما فإذا به ينهره ويرده ، ردا غير كريم، فلما رأيته فى ذله وتذكرت بخله، وأنت فى جودك وكرمك، أثر ذلك فى نفسى فبكيت .

فقال سعيد :

والله الذى لا إله غيره وما أنا إلا السائل الذى نهره زوجك السابق والحمد لله رب العالمين الرزاق ذو القوة المتين.

تأكدى يا حليمة أن من خاف الفقر وعمل له حسابا ونسى الرزاق ذو القوة المتين لا بد وأن يلحقه الفقر أينما كان .

ومن أعطى أعطاه الله وزاد فى رزقه فإنه سبحانه وحده الذى يعطى وينفق على عباده .

ومن أجل ذلك يقول سبحانه فى الحديث القدسى (عبدى أنفق أنفق عليك) .

ورسول الله ﷺ يقول : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا)[1] .

ومن أجل ذلك كان الذين قبلنا من الصالحين لا يخشون الفقر أبدا.

وكان الواحد منهم ينفق .

ويقول : كيف أخاف الفقر وأنا عبد الغنى ولماذا تذهب بعيداً؟ .

فهذا هو عبد الله بن جعفر كان كثير العطاء إلى حد الإسراف وعبدالله كان فى أيام حكم معاوية ابن أبى سفيان كاتب الوحى .

فلما علم معاوية بخبر عبد الله بن جعفر خاف عليه الفقر والعوز .

----

(١) صحيح رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

فأرسل إليه مسعودا برسالة :

ذهب مسعود بالرسالة إلى عبد الله بن جعفر وسلمه رسالة أمير المؤمنين .

فلما فتحها وجد مكتوبا فيها :

يا عبد الله أمسك عليك يدك فإن الأيام قليلة مدبرة .

ماذا كان رد عبد الله على رسالة معاوية أمير المؤمنين

كتب عبد الله إلى معاوية رضى الله عنه : يأمير المؤمنين : عودنى ربى عادة وعودت عباده عادة ، وإنى أخشى أن أقطع عادتى عن عباده فيقطع ربى عادته عنى .

فقالت حليمة لمصطفى : وما السبيل إلى رد ذلك المال إلى بيت مال المسلمين؟

قال مصطفى : لقد نذرت للرحمن صوما حتى أرد ما أخذت من بيت مال المسلمين :

فقالت حليمة : لقد شاركتك صومك والله على ما أقول شهيد . صام مصطفى وحليمة تطوعا لله ليتمكنا من رد أمانة بيت المال .

رجع عمار إلى جوده وكرمه وإلى مجالسة الأمراء والوجهاء من جديد . وأمير القوم عبد الله أمير البلاد .

عندما نظر عمارا يعود من جديد سأله عن سر غيابه عن المجلس هذه الفترة الطويلة .

قص عمار على الأمير عبد الله قصته وأخبره عما جرى فأصدر الأمير عبد الله أمرا بتولية عمار على ولاية يكون عليها أميرا .

فتصادف أن تكون الولاية هى التى يحكمها مصطفى وكان الأمر بعزل مصطفى وتولى عمار الولاية مكانه .

دخل عمار على مصطفى فى مقر الحكم - فرحب به مصطفى وأمر بإكرامه وتسهيل جميع مطالبه كل هذا ومصطفى لا يدرى من أمر عزله شيئا .

ثم كانت المفاجأة : عمار يقدم الفرمان العالى من الأمير بتوليته وعزل مصطفى من الإمارة .

مصطفى : أهلا بك وسهلا .

عمار : أطالبك بتنفيـذ الأمر ، ترك مصطفى مكانه

لعمار وقام معه لتسليم خزانة بيت المال وما لديه من عهد تخص أمر المسلمين .

كانت دهشة عمار عند استلام خزانة بيت المال فقد وجد بها عجزا خمسة آلاف دينار .

عمار : إن فى مال المسلمين عجزا كبيرا .

مصطفى : لا أخفى عليك سرا أيها الأمير - لقد انتابتنى ظروف طارئه لم أكد أن أتحملها فكانت سببا فى استيلائى على هذا القسط من بيت المال .

عمار : أهذا هو الإسلام ؟

أهذا ما أمر به الله تعالى ورسوله ؟

أتخون المسلمين فى مالهم وقد ائتمنوك ؟

قام عمار بإبلاغ الأمر إلى أمير البلاد الذى أصدر أمرا بالقبض على مصطفى وتكبيله بالحديد وأن يشنق على قارعة الطريق حتى يكون عبرة لمن اعتبر جزاء خيانته لبيت مال المسلمين .

عمار ينادى رئيس الحرس ويأمره بالقبض على مصطفى وتكبيله بالحديد حتى يتم تنفيذ حكم الإعدام .

كل ذلك ومصطفى ثابت لا يتحرك ولا يبدى أية مقاومة وأرسل عمار فى طلب (العوضى) المنادى وأمره بإعلام الناس بالخبر .

العوضى خرج ينادى فى الطرقات والأزقة والحارات يا عباد الله فليعلم الحاضر الغائب أن الأمير السابق مصطفى خان بيت المال وأمر أمير البلاد بشنقه على قارعة الطريق فى يوم الخميس الموافق يوم كذا فى مكان كذا حتى يكون عبرة لغيره ولمن تسول له نفسه خيانة المسلمين.

اقترب وقت تنفيذ الحكم ومصطفى صابر رابط الجأش لأنه يعلم تمام العلم أن الله تعالى ليس بظلام للعبيد .

سمعت حليمه زوجة مصطفى الخبر وأن الفضيحة صارت علنا وعلم كل الناس إلا أنها هى وحدها التى تعلم سره وتتأكد من أنه مظلوم وتعلم أنه صائم كما أنها صائمة لسداد الدين . وهى وحدها التى تعلم أن مصطفى برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

أخذت حليمة تفكر وتحدث نفسها أتظل مكتوفة الأيدى

لا تتحرك حتى يتم تنفيذ الإعدام فى برىء مهما كان هذا البرىء . فهداها تفكيرها أن تصنع شيئا تنقذ به البرىء المتهم ظلما وهى تعلم . نادت على خادمة القصر صبرين :

يا صبرين :

صبرين : نعم يا سيدتى .

حليمة : إذهبى إلى الوالى الجديد واستأذنى عليه كما كنت تستأذنين على سيدك وأدى التحية الرسمية كما كنت تؤدينها لسيدك من قبل وقولى له :

إن سيدتى زوجة الوالى السابق تقرئك السلام . وتقول لك :

هل هذا جزاء مقيل عثرات الكرام عند العسره ؟ ولا تزيدى ولا تنقصى وعودى إلى حالا فى التو واللحظة دون أن يتحدث معك أحد .

ذهبت صبرين إلى مقر الوالى ، ودقت الباب وطلبت الإذن بالدخول فأذن لها . أدت التحية كما كانت تؤديها لسيدها من قبل وقالت : إن سيدتى زوجة الوالى السجين تقول لك :

هل هذا جزاء مقيل عثرات الكرام عند العسرة وانطلقت

من أمامه مسرعة حتى لا يدركها أحد كما أمرتها سيدتها.

كان لقول صبرين على عمار وقع شديد كأنه الصاعقة وقام من فوره وذهب إلى السجن ودخل على مصطفى وقال:

أأنت مقيل عثرات الكرام عند العسرة ؟

مصطفى : وما مقيل عثرات الكرام عند العسرة إنه شيء لا أعلمه من قريب أو بعيد .

عمار : ينادى رئيس الحرس ويأمر الحراس ويقول : فكوا وثاق أمير البلاد فإنه الأمين وأنا السارق .. ضعونى مكانه .

أصر مصطفى على موقفه بكل قوة وشجاعة مع صدور الأمر بشنقه على قارعة الطريق .

إلا أن عمارا أرسل لأمير البلاد يستدعيه لأمر هام فحضر الأمير على الفور .

فقال عمار : أيها الأمير : إن هذا هو الشريف الذى طرق بابى ليلا وأعطانى كيس النقود به الخمسة آلاف دينار

التى وجدناها عجزا فى بيت المال وهو صائم من يومها هو وزوجته لسد الدين لبيت المال - فإذن أنا السارق وهو البرىء الشهم الكريم فكرا وثاقه وضعونى مكانه فإنى أنا السارق دهش عبد الله أمير البلاد . وعرف أن الخير يولد من الخير .

ونظر إليهما بكل فخر واحترام وقال :

والله الذى لا إله غيره إنه لا يمكننى أن أعرف أيكما أكرم من أخيه .

وولى كلا منهما على ولاية .

وقال : اللهم أكثر من هذه الأمثلة فى صفوف المسلمين إلى يوم القيامة .

الكاتب الإسلامى

عطية عبد الرحيم عطية

٢٢ من جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

أول يناير ١٩٨٩ م

رقم الايـــداع : ١٩٩٠/٣٢٣٩